﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ [يس: 71]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التَّفكُّرُ في نِعَمِ الله يبعث على الإيمان

لمّا أخبرَ اللّه تعالى أنَّ رسولَه ﷺ منذرٌ لجميع النّاس، وأنَّ الكافرين لم ينتفعوا به، فحقَّ القولُ عليهم؛ بيَّن قدرتَه العظيمة ونعمَه الجليلة عليهم الَّتي توجب الإذعانَ للإنذار والتَّسليم للمنعِم وعبادته وتوحيدِه، لكنَّهم قابلوا النعَمَ بالكفران والجحد، وأعرضوا عن شُكرِ المُنعِم وعبادته وتوحيده، فقال تعالى مقرِّرًا قدرتَه ونعمه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾.

ومن أوجه التَّناسُبِ بين الآيتين: أنَّ اللّه سُبحانَهُ لمّا أخبر بإعماء أفكارهم، وهدَّد بطمس أبصارهم، ومسخهم على مقاعدهم وقرارهم، وأعلم بأنَّ رسولَه ﷺ منذرٌ بكتابه؛ ذكَّرهم بقدرتِه وعظيم إنعامِه وببدائع صنعتِه، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾[1].

ومنها أيضًا: أنَّهُ بَعْدَ أَنِ انقَضى إبْطالُ مَعاقِدِ شِركِ المُشرِكينَ؛ أَخَذَ الكَلامُ يَتَطَرَّقُ إلى غرضٍ آخرَ، وهو تذكيرُهم بِنِعَمِ اللّه تَعالى عَلَيهِم وكَيفَ قابَلوها بِكُفرانِ النِّعمَةِ، وأَعرَضوا عَن شُكرِ المُنعِمِ وعِبادَتِهِ، فالكلامُ على هذا؛ فيهِ انتقالٌ من غرضٍ إلى غرضٍ؛ لتقريرِ قدرةِ اللّه العظيمةِ ونِعَمِهِ الباهرة الدّائمة[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَنْعَٰمًا﴾: (نعم) تدلُّ تصريفاتُه على ترفٍّه، وطيبِ عَيشٍ؛

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 171 - 172، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 438.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 67.

لِما فيه مِن الخَيرِ والنِّعمةِ، ومنه النِّعْمَةُ: ما يُنعِمُ اللّه تعالى على عَبدِهِ به من مالٍ وعيشٍ[1]، والأنعامُ: جَمْعُ نَعَم، وهي: البهائمُ، وأكثَر ما يُطلَقُ هذا الاسمُ على الإبلِ، وهو جَمْعٌ لا واحدَ له من لَفْظِه[2]، وسُمّيت البهائِمُ أنعامًا؛ لكَثرةِ نِعَمِ اللّه تعالى فيها على خَلْقِه مِنَ النُّموِّ وعُموم الانتفاعِ[3]، والمُراد بالأَنعامِ في الآية: الإبِلُ، والبَقَرُ، والغَنَمُ، والمَعِزُ، وأَشْهَرُ الأَنعامِ عند العَرَبِ: الإبِلُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ تعالى مذكِّرًا المشركينَ ببعضِ النِّعَمِ الَّتي أسبَغها عليهم: أوَلم يَرَ أولئك المُشركونَ أنّا خلَقْنا لهم أنعامًا كثيرةً مِنَ الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ يصرِّفونها، كما شاؤوا بالقهر والغلبة، فهي ذليلةٌ منقادةٌ لهم، فالجارية الصَّغيرة إن شاءت؛ أناخت البعيرَ البازل الكبيرَ، وإن شاءت؛ ساقَتْهُ، وصرَّفته كما تُريد[4].

كُلُّ عاقلٍ مَدينٌ لِمَن أنعَمَ عليه أنْ يَشكُرَهُ بحَسَبِ ما تقتَضيه الحالُ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبةُ الوصل في الآية:

في قولِه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ تصدَّر الاستفهامُ، وجاء بعده حرفُ العطف (الواو)، والجملةُ على تقديرِ تقديم العطف على الاستفهام، وإنَّما قُدِّم الاستفهامُ؛ لأنَّ له الصدارةَ في الكلام، فالواو عاطفة لجملة منفيَّةٍ مقدَّرة مستتبعةٍ للمعطوفِ، وتقديرُ الكلام: ألم يلاحظوا، ولم يَرَوا أنّا خَلَقنا لَهُم مِمّا عَمِلَت أيدينا أنعامًا[5]، ومناسبةُ الوصل: هي أنَّه لمّا ذُكِر كفرُهم باللّه تعالى وإصرارُهم عليه؛ أُعقب بذكر الأدلَّة

ليس بعدَ ذِكرِ أدلَّة التَّوحيد إلّا الإيمان، فمن أصرَّ على كفرِه؛ فلعنادِه وتكبُّره

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نعم).
(2) الثعلبي، الكشف والبيان: 3/ 28.
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (نعم).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 592، والمراغي، تفسير المراغي: 23/ 33، والسعديّ، تيسير الكريم الرحمن، ص: 699.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 187، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 187.

على توحيدِهِ تعالى وقدرتِهِ على الحشرِ؛ ليفيدَ أنَّ المنكِرَ ليس له إلّا الإيمانُ بعد ذكر هذه الأدلَّة الظّاهرة، وإن لم يؤمن باللّه تعالى؛ فإنَّ الحاملَ لَهُ على الكفرِ والإصرارِ عليه هو التَّعنُّت والتَّكبُّرُ والعنادُ.

بلاغةُ الاستفهامِ المجازي:

تنـوُّعُ توجيهِ الاستفهام بين التَّقريريِّ والإنكاريِّ

يحتمل الاستفهامُ في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا﴾ أن يكون تقريريًّا، إن حُمِلَ هذا التَّركيب على أنَّ همزةَ الاستفهام مقدَّمةٌ من تأخير، وهذا هو الظّاهر في الآية، وتقديرُ الكلام: (وألَم يروا)، فلمّا دخلت همزةُ الاستفهامِ على حرف النَّفي (لَمْ)؛ أفاد نفيُ النَّفي الإثباتَ، فيكون الكلامُ استفهامًا قُصِدَ بِهِ الإثبات[1]، والضَّمير في ﴿يَرَوْاْ﴾ يعود إلى الكافرين من قريش ومَن يجري على طريقتهم، والمعنى على التَّقرير: قد رأى الذين كفروا أنّا خلقنا لهم ممّا عملت أيدينا أنعامًا، ويتولَّد من مجيءِ الاستفهام بمعنى التَّقرير والإثبات تقريرُ الامتنانِ والتَّفضُّلِ عليهم لإيجاب الشُّكر على إنعامِه بالإيمان به تعالى وتوحيده، كما يعقب معنى الاستفهام توبيخُهم على عدم شكرِهم هذه النِّعمةَ العظيمةَ وعدمِ انتفاعِهم بما يرون مِنَ الأدلَّةِ على ألوهيَّة اللّه تَعالى وتوحيدِه.

ويجوزُ أن يكونَ الاستفهامُ إنكاريًّا، إنْ لم يكن هناك تقديمٌ لحرف العطفِ ولا تأخيرٌ لهمزة الاستفهام، على ما ذهب إليه الزَّمخشريُّ في مثل هذا التَّركيب، فيكون المعنى: أنَّ اللّه تعالى يُنكر عليهم إهمالَهم النَّظر العقليَّ والتَّفكُّر وعدم الانتفاع به، وينفيه عنهم، مع أنَّ الأنعامَ أمام أنظارِهم، وسببُ الإنكارِ المفيدِ معنى النَّفي هو أنَّهم لمّا لم ينتفعوا بعلمِهم بأنَّ اللّه تعالى هو الذي خلقها لهم؛ نُزِّل عدم الانتفاع بالعلم منزلةَ نفيه عنهم، ويتولَّد من الإنكار معنى التَّعجيبِ من عدم انتفاعِهم ممّا يرون، ويعلمون[2].

(1) النسفي، التيسير في التفسير: 12/ 379.

(2) إسماعيل حقي، روح البيان: 7/ 443، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 438، والقونجي، فتح البيان: 11/ 320.

نكتةُ العدول عن الخبرِ إلى الاستفهام المجازي:

الحثُّ على رؤية خَلْقِ الله تعالى فيما أنعم به على العباد

سواءٌ أكان الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا﴾ تقريريًّا أم إنكاريًّا؛ فإنَّ العدولَ عن التَّعبيرِ بالخبر إلى الاستفهام المجازيِّ فيه إيماءٌ إلى الأمر بالرُّؤية والنَّظر فيما خَلَقَ اللّهُ تعالى مِنَ الأنعام وما فيها من دقَّة الصُّنعِ وكثرةِ المنافع المشاهدة ونعمة مُلْكِهم لها وتسخيرها لهم، أي: فَلْيروا[1].

دلالةُ الرُّؤيةِ في قوله: ﴿يَرَوْاْ﴾:

المعاينةُ سببٌ للعلمِ والإذعان

الرُّؤيةُ في قولِه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ قلبيَّةٌ، بمعنى: العلم اليقينيِّ، وجاء التَّعبيرُ بالرُّؤية دونِ العلم؛ للإشعار بأنَّ هذا العلمَ يقينيٌّ متاخم للمعاينةِ لظهورِه ووضوحِه، ولمناسبتِه مقامَ المخاطَبين الذين لا تكاد الأنعامُ تغيب عن أعينِهم، وفيه تنبيهٌ إلى أنَّ المعاينةَ سببٌ للعلم والإذعان، فإذا كان الاستفهامُ على معنى التَّقرير؛ كان المعنى إثباتَ علمِهم، والتَّقدير: قد علموا علمًا هو كالرُّؤية في ظهورِه[2].

مناسبةُ التَّعبيرِ بالمصدر المؤوَّل:

مطلقُ النَّظرِ إلى خلقِ الأنعامِ؛ يُظهِرُ عظمةَ قدرةِ الله تعالى

عُبِّرَ بالمصدر المؤوَّل في قولِه تعالى: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾؛ للإيذانِ بأنَّه يكفيهم رؤيةُ نفس الخلقِ دون احتمالِ وصفٍ زائد عليه؛ تخليصًا للكلام من شوائبِ الإجمال في أذهان السّامعين، وتحصينًا له مِنَ الإشكال[3]، أي: إنَّ رؤيتَهم نفسَ خلقِ الأنعام تكفي في الاتِّعاظ والاعتبار، فلا يحتاج إلى رؤية وصفٍ آخرَ له أو هيئةٍ من هيئاتِه، ولا إلى تدقيقِ النَّظر والإمعانِ فيه؛ لوضوح الأمر في نفسِه، فتتجلَّى عظمةُ اللّه تعالى في خلقِه وظهور نعمِه الجليلة، كما أنَّ التَّعبير بـ (أَنَّ) المصدريَّةِ أفاد توكيدَ مضمونَ

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 8/ 537.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 187.
(3) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد: 1/ 92.

الجملة؛ لأنَّ خلقَ الله تعالى للأنعام من الحقائقِ العظيمة، فناسب المضمونُ تفخيمَ الجملةِ وتأكيدَها.

مناسبةُ التَّعبير بنون العظمة:

عظمةُ القُدرةِ الإلهيَّة في الخَلْقِ

في قول الله تعالى: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا﴾ جاء المسندُ إليه، وهو الضَّمير (نا) بصيغة التَّعظيم، وأسند فعل الخلقِ إليه، ومثل ذلك: الإضافة في ﴿أَيْدِينَآ﴾، ونكتةُ ذلك: الدلالةُ على إبداعِ خلقٍ عجيب وإيداعِ صنع غريب، وأنَّ هذا الخلق لا يقدِرُ عليه إلّا اللّهُ تعالى بمقتضى عظمتِه التي لا تماثِلُها عظمةٌ.

وأُكِّد هذا المعنى بإسناد فعلِ الخلق مرَّتين؛ إحداهما إلى (نا) مِن ﴿أَنَّا﴾، والأخرى: إلى الضَّمير (نا) المتَّصل بالفعل؛ تقويةً لهذه الدَّلالة وترشيحًا لها، لمزيد إبراز عظمةِ القُدرة الإلهيَّة في الخلقِ.

دلالةُ اللّام في ﴿لَهُم﴾:

إكرامُ اللهِ تَعالى لعبادِهِ

اللّام في ﴿لَهُم﴾ مِن قولِ اللّهِ تعالى: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ تدلُّ على الاختصاص والنَّفع، والمعنى: أنّا خلقنا الأنعام لأجلِهم، وليختصّوا بالانتفاعِ بها، وفي ذلك بيانٌ لإكرامِ اللّه تعالى لبني آدمَ، ليكون ذلك حاثًّا لَهُم على شُكرِهِ بإفرادِهِ سبحانه بالعبادة.

دلالةُ (مِنْ) في ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾:

التَّفكُّرُ في بعضِ خلقِ الله تعالى كافٍ في العلم بوحدانيَّته تعالى

(مِنْ) في قول الله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ تبعيضيَّةٌ، والمعنى: مِن بعض ما عملت أيدينا، ليفيد سعةَ خلقِهِ تعالى، وأنَّ كلَّ ما خلقَهُ سُبحانَهُ عظيم وبديع، وليفيد أنَّ التَّفكُّرَ في بعضِ خلقِ اللّه كافٍ في العلم بوحدانيَّته ﷻ وفي قدرته على الحشرِ يومَ القيامة، كما أنَّ التَّبعيض يفيد كثرةَ نِعَمِ اللّه تعالى الظّاهرة عليهم.

مناسبةُ التَّعبيرِ بالموصول وصلتِه:

جاء التَّعبيرُ بالاسم الموصولِ وصلتِهِ في قول الله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ﴾؛ للإيماء بالصِّلة إلى تعظيم خلقِ اللّه تعالى للأنعام وأنَّ

الأمرَ كان بعنايتِه سبحانَهُ، وفيه إشارةٌ إلى حَصْرِ الخلق لهذه النِّعم فيه تعالى واستقلاله بها، والتَّنبيه بالصِّلةِ - ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ - إلى دقَّة خلقِ الأنعام وبديع صُنعِها.

تعظيمُ الله تعالى في خَلقِهِ وبديعِ صُنْعِهِ

بلاغةُ إضافةِ الأيدي إلى ضميرِ العظمَةِ:

في إضافة الأيدي إلى (نا) الدّالِّ على العظمةِ في قوله: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ إيذانٌ بعظمَةِ هذا الخَلْقِ، وفيه إشعارٌ بظهور دقَّة خلقِ الأنعام وبديع صنعها لمَنْ له أدنى تأمُّل وتفكُّر، كما يفيد التَّركيبُ ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ أنَّ هذا العمل ممّا تولّى اللّهُ تعالى إحداثَهُ بغير واسطةٍ، ولم يقدر على تولّيه غيرهُ[1].

تفرُّدَ الله تعالى في خلقِ الأنعام والاهتمام به

بلاغةُ تقديم الجارِّ والمجرورِ:

قُدِّم الجارّان مع مجرورَيْهما ﴿لَهُم﴾ و﴿مِّمَّا﴾، وهما متعلِّقانِ بالمفعول ﴿أَنْعَمَا﴾ في قول الله تعالى: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَمَا﴾ مع أنَّ حقَّ المفعولِ ههنا التَّقدُّمُ عليهما؛ وذلك للاعتناء بالمقدَّم والتَّشويق إلى المؤخَّر، فإنَّ تأخيرَ ما حقُّه التَّقديمُ يجعَلُ النَّفسَ مترقِّبةً لهُ، فيتمكَّنُ عندَ ورودِهِ عليها فضلَ تمكُّنٍ، ولا سيَّما إذا كان المقدَّم منبئًا عن كونِ المؤخَّر أمرًا نافعًا خطيرًا كما في النَّظم الكريم، فإنَّ الجارَّ الأوَّل ﴿لَهُم﴾ - المُعربَ عن كون المؤخَّر من منافعهم- والآخر ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ - المفصِحَ عن كونه من الأمورِ الخطيرةِ- يزيدان النَّفسَ شوقًا إليه ورغبةً فيه، ولأنَّ في تأخيره جمعًا بينه وبين أحكامِه المتفرِّعة عليه بقوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾[2].

العنايةُ بالمقدَّمِ والتَّشويق إلى المؤخَّر

فائدةُ إيثارِ ذِكْرِ الأنعام:

خُصَّتِ الأنعامُ بالذِّكر في قول الله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَمَا﴾، وإن كانت الأشياءُ كلُّها من خلقِهِ وإيجاده سُبحانه؛ لأنَّ

الاعتبارُ بالأنعامِ مع دقَّةِ خلقِها موجِبٌ للاستكانةِ لخالقِها والخشيةِ مِنهُ

(1) الزمخشري، الكشاف: 4، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 273، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 82.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 178.

الأنعامَ - التي هي الإبلُ والبقرُ والغنمُ والمَعزُ - أكثرُ أموال مَنْ نزلَ فيهم القرآنُ؛ إذ منها طعامُهم وشرابُهُم ولِباسُهم وأثاثهم وخِباؤهم وركوبهم وجمالهم، فلولا تفضُّلُهُ تعالى عليهم بتذليلها لهم؛ لَما قامت لهم قائمةٌ؛ لأنَّ أرضَهم ليست بذات زَرْعٍ، وما هم بأهل صناعةٍ مشهورةٍ، ولا جزيرتهم متحضِّرةٌ متمَدِّنة، كما أنَّ ما فيها من بدائعِ الفطرةِ وكثرة المنافعِ واستمرارِها لعموم النّاس يقتضي إفرادَها بالذِّكر، فالاعتبارُ بالأنعامِ مع دقَّة خلقِها موجِبٌ للاستكانَةِ لخالقِها، والخضوع له والخشية منه[1].

دلالةُ الفاءِ في ﴿فَهُمْ﴾:

الفاءُ في قوله: ﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ دالَّةٌ على التَّفريع[2]، والمعنى: خلقنا لهم الأنعامَ، فملَّكْناها إيّاهم، ومسوِّغ التَّفريع وجودُ الجارِّ والمجرور في قوله: ﴿خَلَقْنَا لَهُم﴾، فلا خفاءَ في التَّفريع على هذا المعنى كما ذكر الآلوسي[3]، والمعنى: لَم يكونوا ليَمْلِكوها لولا أنَّنا خلقناها لَهُم؛ ليكونَ خلقُها سببًا في تملُّكهم لها، فأفادت الفاءُ السَّببيَّةَ[4] مع التَّفريع، وفي هذا تذكيرٌ بالنِّعمة ووجوب شُكر المنعِم، وأنَّه الخالق لها ولكم.

إتمامُ إنعامِ اللهِ تعالى على العبادِ بخلقِهِ الأنعامَ وتمليكِهم إيّاها

ويَنْبَني على التَّفريعِ التَّرتيبُ على وجهِ التَّرقّي في الإنعام؛ لِما فيه من ذِكْر إتمام الإنعام بخلق الأنعامِ وتمليكها إيّاهم، فإنَّه تعالى لو خلقَها، ولم يملِّكها الإنسانَ؛ ما كان ينتفع منها[5].

دلالةُ الضَّمير في قوله: ﴿فَهُمْ﴾:

يعود الضَّميرُ (هُمْ) في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ على الكافرين

المنَّةُ بخلقِ الأنعامِ عامَّةٌ لجميعِ الأنام

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 273، والقاسمي، محاسن التأويل: 7/ 241.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 178، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 68.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 49.
(4) إسماعيل حقي، روح البيان: 7/ 434.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 306.

المجرمين، بقرينةِ السّياقِ؛ لتذكيرِهم بوجوب شكر النِّعم بالتَّوحيد وعبادتِه تعالى، وبالإيمان بالبعثِ وبرسالةِ رسول الله ﷺ، والخطابُ وإن كان في أصلِه للمشركين ولكن يدخل فيه جميعُ النّاس؛ لأنَّ المنَّةَ بخلق الأنعامِ شاملةٌ لجميع الأنامِ، وليس مخصوصًا بالمشركين.

سببُ إيثارِ التَّعبيرِ بالجملة الاسميَّة:

استقرارُ الملكِ أبلغُ في المِنَّة

آثَر البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالجملة الاسميَّةِ في قوله: ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ دون الجملةِ الفعليَّة، فلم يردِ النَّظْمُ القرآنيُّ: (فملَّكناها لهم)؛ وذلك للدَّلالةِ على استقرارِ ملكيَّتِهم لها وثبوتِها استمرارِها[1]، وذلك أدخلُ في المنَّةِ وأبلغُ في النِّعْمَةِ.

ويُقوّي هذا المعنى اختيارُ حرف الجرِّ (اللّام) في قول الله تعالى: ﴿لَهَا مَٰلِكُونَ﴾؛ لِما في اللّامِ مِنَ الدَّلالَةِ على الاختصاص، وهذا أبلغُ في إفادةِ ملكيَّتهم لها.

فائدةُ تقديم الجارِّ والمجرور:

الاهتمامُ بنِعْمَةِ الأَنْعامِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور في قوله: ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ على متعلِّقِه؛ للاهتمام بالمقدَّم والعنايةِ به، وبيانُ ذلك: أنَّه لمّا كان أصلُ الكلام: فهم مالكون لها، وكان المقصودُ الاهتمامَ بنِعْمَة الأنعامِ؛ قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿لَهَا﴾ على عاملِه اهتمامًا بها؛ لكونهم يتصرَّفون فيها، ويَضْبِطونها، ولزيادة استحضارِ الأنعام عندَ السّامعين قبل سماعِ متعلِّقه - وهو ﴿مَٰلِكُونَ﴾ - وليقعَ الجارُّ والمجرور ومتعلَّقُهُ أمكنَ وقعٍ في نفوسِهم بالتَّقديم والتَّشويق.

كما أنَّ في تقديمِ الجارِّ والمجرور رعايةً للفاصلة؛ إذ لو جاءَ في النَّظمِ القرآنيِّ: (فهم مالكون لها)؛ لفاتَ التَّناسُبُ اللَّفظيُّ بين الآيِ.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 178.

فائدةُ العدولِ عن الإضافة:

تقويةُ الاختصاصِ في ملكيَّة النّاس لِلأنعام

أفادَ العدولُ عن إضافة ﴿مَلِكُونَ﴾ إلى الضَّمير (ها) - بأن يَرِدَ في النَّظمِ القرآنيِّ: (فهم مالكوها) - إلى تعديةِ اسم الفاعل لِلضَّمير باللّام؛ لتقوية الاختصاص[1] في ملكيَّتهم لها واختصاصِ انتفاع النّاس بها، كما أنَّه عُدِلَ عن الإضافة؛ لتوافق الفواصل وتناسُبِ رؤوسِ الآي.

دلالةُ قوله: ﴿مَلِكُونَ﴾:

تمليكُ الأنعامِ يكونُ بالتَّصرُّف فيها وضَبْطِها وتَسْييرِها

يحتملُ أن يكونَ لفظُ ﴿مَلِكُونَ﴾ جمعَ (مالك)؛ مأخوذٌ من التَّملُّك بمعنى: ملك التَّصرُّف فيها، والمعنى: فهم مُتصرِّفون فيها تصرُّف الملّاك، أي: خلقناها لأجلهم، فملَّكناها إيّاهم، فهم مختصّون بالانتفاع فيها، لا يُزاحَمون، فيفيد لفظ ﴿مَلِكُونَ﴾ أنَّ أحدًا لا يَمْنَعُهم من التَّصرُّف فيها، ويجوزُ أن يكونَ ﴿مَلِكُونَ﴾ معناه: ضابطونَ، قاهِرونَ لَها، قادرون على الإمساك بها[2]، ومنه قول الشّاعر:

أَصْبَحْتُ لا أَحْمِلُ السِّلاحَ ولا *** أَمْلِكُ رَأسَ البَعيرِ إن نَفَرا[3].

أي: كَبِرت فلا أضبط رأسَ البعير، ولا أمسكه؛ إنْ نفرَ من يدي، فيكون المعنى: فهُم متمكّنون من ضبطها والتَّصرُّف فيها.

والأوَّل أظهرُ؛ ليكون قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ تأسيسًا لنعمةٍ مستقلَّةٍ لا تتمَّةً لنعمةٍ سابقةٍ[4]، وعلى كلا الوجهين في معنى ﴿مَلِكُونَ﴾؛ فإنَّ خَلْقَ الأنعامِ من جملة النِّعَمِ الظّاهرة، بتمليكها بطريق الانتفاعِ منها، وبضَبْطِها وقهرِها.

(1) السامرائي، معاني النحو: 3/ 74.

(2) ابن جرير، جامع البيان، تح: شاكر: 20/ 550، والماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 8/ 538، والكرماني، لباب التفاسير، ص: 2372، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 273.

(3) الميداني، مجمع الأمثال: 2/ 179، والزمخشري، المستقصى في أمثال العرب: 2/ 192.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 178، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 189.

بديعُ الإدماجِ:

إعْـظـامُ المِـنَّـةِ بخلق الأنعام

في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ إدماجٌ؛ للامْتِنان بنِعْمَة خَلْق الأنعام وتصرُّفهم فيها في أثناء التَّذكير بوجوب رُؤية هذا الخلق العجيبِ، والتَّفكُّر فيه والاعتبار مِنْهُ[1].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 68.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»